الإمارات الأولى عالمياً في استقطاب العقول

محمد بن راشد: إبداعات الإنسان رأس مال مستقبل الأمم العاقلة

- استقطاب الكفاءات يعتمد على تحقيق السعادة للمجتمع لأنها جاذبة للبشر
- عالمنا العربي يعاني نزيف العقول وتطوير الإدارة الحكومية أحد أهم الحلول
- قفزات الإمارات في التنافسية تعكس نوعية البيئة التي تبحث عنها المواهب

نوه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، رعاه الله، بإنجاز جديد لدولة الإمارات، تمثل في حلولها في المركز الأول عالمياً في استقطاب المواهب والعقول.

وأورد سموه هذه المعلومة في مقال خصصه لإلقاء الضوء على ظاهرة نزيف الكفاءات والعقول التي تهجر أوطانها بحثاً عن الفرصة المواتية لتنمية إبداعاتها، بعدما عز عليها ذلك في بلدانها الأصلية.

ولفت سموه في المقال إلى تغير خريطة العقول المهاجرة، بعدما كان استقطابها حكراً على العالم المتقدم، مع بروز قوى اقتصادية ومنابع حضارية جديدة كالإمارات التي حققت قفزات كبيرة في تقارير التنافسية العالمية، ووفرت بيئة مواتية وظروفاً لوجستية متطورة لاحتضان واستثمار العقول المهاجرة، وبعضها من دول العالم المتقدم نفسه.

وأشار سموه إلى أن القدرة على استقطاب العقول والكفاءات تعتمد على أداء الحكومات وبرامجها الهادفة إلى تحسين ظروف المعيشة، ونوعية الحياة للجميع، وتحقيق السعادة لهم التي أكد سموه أنها «معدية وجاذبة للمزيد من البشر». وختم سموه المقال بالتذكير بأن «الأمم العاقلة هي الأمم التي تؤمن بالإنسان وبقيمته، وبأن رأس مال مستقبلها الحقيقي في عقل هذا الإنسان وأفكاره وإبداعاته».

تالياً نص مقال صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم:

الهجرة المعاكسة للعقول

■ في عام 1968 وأثناء سنوات دراستي في كلية مونز العسكرية في بريطانيا، احتجت إلى مراجعة أحد المستشفيات التخصصية، ولمفاجأتي كان طبيبي المعالج يتحدث العربية، فعرفت أنه من أصل عربي، وأن قدومه إلى العاصمة البريطانية كان حديثاً، فسألته عن حياته وإن كان ينوي البقاء طويلاً أم العودة قريباً إلى وطنه، فقال لي: وطني حيث لقمة عيشي.

■ بقيت هذه الكلمة عالقة في ذهني طويلاً، مع كل ما تحمله من تناقضات نفسية وفكرية مع مفهوم الوطن وواقع صعب يدفع بأفضل العقول في عالمنا العربي للاتجاه إلى كل أصقاع الأرض بحثاً عن وطن جديد وفرص جديدة وآمال حقيقية.

■ عقوداً طويلة، عانت منطقتنا العربية والكثير من دول العالم الثالث الدوران في حلقة مفرغة وصعبة من الجهود التنموية، إذ تصرف هذه الدول الكثير من مواردها لتعليم وتخريج الكثير من المهندسين والأطباء والباحثين والعلماء، أملاً في أن يسهموا في صنع واقع أفضل، ولكن لصعوبة الواقع الذي يجدونه بعد التخرج، تهاجر آلاف العقول إلى الدول المتقدمة بحثاً عن فرص أفضل، لتبقى أوطانهم تدور في الحلقة نفسها، ولتبقى البلدان المتقدمة هي المستفيد الأكبر من أفضل المواهب والعقول القادمة من هذه الدول.

■ لا نستطيع بأي حال من الأحوال في هذه الظاهرة التي عرفت «بهجرة العقول» أن نلوم من يهاجر بحثاً عن حياة أفضل له ولعائلته، وبحثاً أيضاً عن بيئة خصبة تساعده على النمو والتطور واستغلال إمكاناته ومواهبه وقدراته بالشكل الأفضل والأمثل، ولا نلوم أيضاً البلدان المتقدمة التي فتحت أبوابها ومعاملها ومختبراتها ومستشفياتها لهذه العقول المهاجرة، فكل دولة لها الحق الكامل في استقبال واحتضان من ترى أنه سيضيف شيئاً لتطورها وتقدمها وتطوير علومها واختراعاتها وخدماتها التي تقدمها لمواطنيها.

■ ومع المزيد من التطورات العلمية والتكنولوجية الحديثة أصبح العالم قرية صغيرة، وتساقطت الحدود الجغرافية أمام المواهب، وزاد الطلب على أفضل العقول مع زيادة التنافس والتسابق بين الأمم والشعوب، وزادت هجرة العقول لأكثر من 30% خلال السنوات العشر الماضية فقط، حسب إحصاءات الأمم المتحدة، كما دفعت الظروف الصعبة المزيد من العقول إلى طلب الهجرة بحثاً عن فرص أفضل، ولكن الصورة ليست قاتمة دائماً، والتاريخ لا يسير في اتجاه واحد فقط، والعالم ليس مكاناً ثابتاً، بل إن سرَّ تجدد حضاراته هو في تغيره المستمر.

■ طالعتنا دراسة صدرت أخيراً عما يمكن أن نقول إنه بداية لكسر الحلقة وتغير الاتجاه في هجرة العقول، إذ أصدرت شركة لينكد إن - وهي أكبر تجمع إلكتروني مهني في العالم يضم أكثر من 300 مليون مهني في كل التخصصات ومقرها الولايات المتحدة - دراسة عن هجرة العقول وحركتها بين مختلف دول العالم، وقاست الشركة عن طريق قاعدة مستخدميها حركة العقول والمواهب بين الدول ما بين دخولها وخروجها، ثم صنفت أكثر من 20 دولة ما بين الرابحين والخاسرين في التنافس لاستقطاب هذه العقول، وكانت المفاجأة أن الدولة الأولى في العالم في استقطاب المواهب هي دولة الإمارات العربية المتحدة، كما جاءت أيضاً مجموعة من الاقتصادات الصاعدة في المقدمة مثل البرازيل والهند وجنوب أفريقيا والمملكة العربية السعودية جنباً إلى جنب مع سنغافورة وسويسرا وألمانيا في الأكثر استقطاباً للعقول، وكانت أكثر الدول المصدرة للعقول حسب الدراسة نفسها هي إسبانيا وبريطانيا والولايات المتحدة وإيطاليا وإيرلندا. وكانت هجرة العقول إلى دول العالم الأول أقل من ثلث المجموع خلال فترة الدراسة التي غطت سنة كاملة من نوفمبر 2012 إلى نوفمبر 2013، في حين استحوذت الدول الصاعدة على نصيب الثلثين.

■ ظاهرة هجرة العقول التي عانتها الكثير من الدول أصبحت اليوم تأخذ اتجاهات عالمية مختلفة وجديدة، اتجاهات تتماشى مع تغير موازين القوى الاقتصادية، وتغير حجم ونوعية الفرص المتاحة وتغير حركة الاستثمارات واتجاهات النمو العالمية.

■ ولا أقول في هذا المقال أو أزعم أن الصورة الكاملة قد تغيرت، أو أن الدول المتقدمة تراجعت عن استقطاب المزيد من العقول، فما زالت الكثير من الدول وخاصة في أفريقيا مثلاً تعاني هذه الظاهرة بشكل كبير، وما زال أغلب عالمنا العربي بظروفه وصراعاته وتوتراته التي لا تنتهي بيئة غير جاذبة، بل طاردة للعقول. لكن ما أقوله هنا إنه يمكن للكثير من الدول الخروج من هذه الدائرة البائسة في هجرة العقول التي هي أساس في التنمية، ويمكن لهذه الدول أن تفعل ذلك سريعاً، وحلول دولة الإمارات في المركز الأول عالمياً في استقطاب العقول - كنسبة مئوية - يمكن أن يعطي نموذجاً يمكن البناء عليه أمام الكثير من الدول الأخرى، سواء في منطقتنا أو في قارات العالم المختلفة.

■ لعل العامل الأول في استقطاب العقول والمواهب هو خلق الفرص، وتوفير البيئة المثالية للنمو والتطور، وتوفير البيئة المثالية أيضاً للاستثمار وإدارة الأعمال، وتوفير أجواء عالية من الشفافية والحوكمة الرشيدة، وتساوي الفرص أمام الجميع. ولعل حلول الإمارات في تقارير التنافسية في المركز الثالث عالمياً في الأداء الاقتصادي والثاني عالمياً في سهولة ممارسة الأعمال والأول عالمياً في الكفاءة الحكومية يعطينا مؤشرات عن نوعية البيئة التي تبحث عنها مثل هذه المواهب والعقول.

■ ولعل العامل الثاني الحاسم في حركة العقول والمواهب بين الدول هو جودة الحياة. كانت نظرة الكثير من المواهب أن جودة الحياة في العالم المتقدم أفضل بكثير، وخاصة في مجالات التعليم والصحة والخدمات والبنية التحتية والإلكترونية وغيرها، ولكن اليوم أصبحت الكثير من الدول تقدم مستويات من جودة الحياة أعلى بكثير مما تجده هذه المواهب في بلدانها، ما يسهل ويشجع بشكل كبير قرار الانتقال، إذ تتوافر الفرص الاقتصادية إلى جانب نمط حياة عالي الجودة.

■ القدرة على استقطاب أفضل العقول هي أحد النواتج الرئيسة لعمل الحكومات على تحسين ظروف المعيشة ونوعية الحياة في بلدانها سواء لمواطنيها أو للقادمين إليها، وعندما يكون هدف الحكومة تحقيق السعادة للمجتمع، فتأكد تماماً أن السعادة معدية وجاذبة للمزيد من البشر.

■ لقد عانى عالمنا العربي ظاهرة هجرة العقول، وما زالت الكثير من دوله أيضاً تعاني هذا النزيف المؤسف في أهم ما تملكه من ثروة، ولقد قلنا وكررنا دائماً أن تطوير الإدارة الحكومية هو أحد أهم مفاتيح تطوير قطاعات المجتمع كافة، من صحة وتعليم وبنية تحتية وبيئة اقتصادية واستثمارية، مما يخلق مناخاً مناسباً للمواهب، كي تزدهر وتنمو وتبقى في أوطانها لتتطور وتتطور، وتبني مجتمعها إلى جانب بناء حياة طيبة لهم ولأسرهم.

■ أعتقد بأننا ما زلنا في بداية الطريق، ولعل هذه الدراسة وغيرها من الدراسات تعطينا لمحة عن المستقبل واتجاهاته، وعن التحولات القادمة وطبيعتها، وعن طبيعة المنافسة وقوتها بين الأمم والشعوب. والأمم العاقلة هي الأمم التي تؤمن بالإنسان وبقيمته، وبأن رأس مال مستقبلها الحقيقي في عقل هذا الإنسان وأفكاره وإبداعاته.

محمد بن راشد آل مكتوم